

عمل الحسبة في التسعيّر (تابع)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قلت والمأساة الثانية التي تنازع فيها العلماء في التسعير: ألا يحد لأهل السوق حد لا يتجاوزونه مع قيام الناس بالواجب، فهذا منع منه جمهور العلماء حتى مالك نفسه في المشهور عنه، ونقل الممنع أيضًا عن ابن عمر وسالم والقاسم بن محمد وذكر أبو الوليد عن سعيد بن المسيب وربيعة بن أبي عبد الرحمن وعن يحيى بن سعيد أنهم أرخصوا فيه، ولم يذكر الفاظهم. وروى أشهب عن مالك وصاحب السوق يسرع على الجزارين لحم الصنآن ثلث رطل، ولحم الإبل نصف رطل، وإلا خرجوا من السوق. قال: إذا سُرِّ عَلَيْهِمْ قَدْرٌ مَا يَرَى مِنْ شَرائِهِمْ فَلَا يَأْتِيهِمْ بِأَخَافَ أَنْ يَقُومُوا مِنْ السُّوقِ. واحتج أصحاب هذا القول بأن هذا مصلحة للناس بالمنع من إغلاء السعر عليهم، والإفساد عليهم، قالوا: ولا يجبر الناس على البيع، إنما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحده ولـي الأمر على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمشتري، ولا يمنع البائع ربيًّا ولا يسُوَّغ له منه ما يضر بالناس. وأما الجمهور فاحتاجوا بما تقدم من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد رواه أيضًا أبو داود وغيره من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قال: { جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال له: يا رسول الله! سُرِّ لـنَا ، فقال: " بل أدعـوا الله ". ثم جاء رجل فقال: يا رسول الله سُرِّ لـنَا ! فقال: بل الله يرـفـع ويـخـفـضـ، وإنـي لـأـرـجـوـ أـنـ الـقـيـ اللـهـ وـلـيـسـتـ لأـحـدـ عـنـديـ مـظـلـمـةـ } قالوا: ولـأـنـ اـجـهـارـ النـاسـ عـلـىـ بـيـعـ لـأـيـجـبـ أوـ مـنـعـهـ مـاـ يـبـاـحـ شـرـعـاـ ظـلـمـ لـهـمـ وـالـظـلـمـ حـرـامـ . وأـمـاـ صـفـةـ ذـلـكـ عـنـدـ مـنـ جـوـزـهـ، فـقـالـ ابنـ حـبـيـبـ يـبـغـيـ لـلـإـمـامـ أـنـ يـجـمـعـ وـجـوـهـ أـهـلـ السـوـقـ ذـلـكـ الشـيـءـ، وـيـحـضـرـ غـيـرـهـمـ اـسـتـطـهـاـرـاـ عـلـىـ صـدـقـهـمـ، فـيـسـأـلـهـمـ: كـيـفـ يـشـتـرـوـنـ؟ وـكـيـفـ يـبـعـوـنـ؟ فـيـنـازـلـهـمـ إـلـىـ مـاـ فـيـهـ لـهـمـ وـلـلـعـاـمـةـ سـدـادـ حـتـىـ يـرـضـوـنـ، وـلـاـ يـجـبـرـوـنـ عـلـىـ التـسـعـيرـ، وـلـكـنـ عـنـ رـضـاـ . قال: وـعـلـىـ هـذـاـ أـجـاـزـهـ مـنـ أـجـاـزـهـ . قالـ أـبـوـ الـولـيدـ وـوجـهـ ذـلـكـ أـنـ يـهـذـاـ يـتـوـصـلـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ مـصـالـحـ الـبـاعـةـ وـالـمـشـتـرـيـنـ، وـيـجـعـلـ لـلـبـاعـةـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ الرـيـحـ مـاـ يـقـوـمـ بـهـمـ، وـلـاـ يـكـوـنـ فـيـهـ إـجـحـافـ بـالـنـاسـ، وـإـذـاـ سـُرـرـ عـلـيـهـمـ مـنـ غـيـرـ رـضـاـ بـمـاـ لـأـرـجـعـ لـهـمـ فـيـهـ أـدـىـ ذـلـكـ إـلـىـ فـسـادـ الـأـسـعـارـ وـإـخـفـاءـ الـأـقـوـاتـ وـإـتـلـافـ أـمـوـالـ النـاسـ . قـلـتـ: فـهـذـاـ الـذـيـ تـنـازـعـ فـيـهـ الـعـلـمـاءـ . وـأـمـاـ إـذـاـ اـمـتـنـعـ الـنـاسـ مـنـ بـيـعـ مـاـ يـبـعـ مـاـ يـبـعـ إـلـاـ بـأـكـثـرـ مـنـهـ: فـهـنـاـ يـؤـمـرـ بـمـاـ يـحـبـ عـلـيـهـ وـيـعـاقـبـ عـلـىـ تـرـكـهـ، وـكـذـلـكـ مـنـ وـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـبـعـ بـثـمـنـ بـقـولـ النـبـيـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- { إـنـ اللـهـ هـوـ الـمـسـعـرـ الـقـابـصـ الـبـاسـطـ، وـإـنـيـ لـأـرـجـوـ أـنـ الـقـيـ اللـهـ وـلـيـسـ أـحـدـ مـنـكـ يـطـالـبـنـيـ بـمـظـلـمـةـ فـيـ دـمـ وـلـاـ مـالـ } فـقـدـ غـلـطـ، فـإـنـ هـذـهـ قـضـيـةـ مـعـيـنـةـ لـيـسـ لـفـطـاـ عـامـاـ، وـلـيـسـ فـيـهـ أـنـ أـحـدـ اـمـتـنـعـ مـنـ بـيـعـ يـحـبـ عـلـيـهـ أـوـ عـلـمـ يـجـبـ عـلـيـهـ، أـوـ طـلـبـ فـيـ ذـلـكـ أـكـثـرـ مـنـ عـوـضـ الـمـثـلـ . وـمـعـلـومـ أـنـ الشـيـءـ إـذـاـ رـغـبـ الـنـاسـ فـيـ الـمـزـاـيـدـ فـيـهـ، فـإـذـاـ كـانـ صـاحـبـهـ قـدـ بـذـلـهـ كـمـاـ جـرـتـ بـهـ الـعـادـةـ وـلـكـنـ النـاسـ تـزـايـدـوـ فـيـهـ فـهـنـاـ لـأـسـعـرـ عـلـيـهـمـ، وـالـمـدـيـدـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ إـنـمـاـ كـانـ الطـعـامـ الـذـيـ بـيـاعـ فـيـهـ غـالـبـاـ مـنـ الـجـلـبـ، وـقـدـ بـيـاعـ فـيـهـ شـيـءـ يـزـرـعـ فـيـهـ، وـإـنـمـاـ كـانـ يـزـرـعـ فـيـهـ الشـعـبـ، فـلـمـ يـكـنـ الـبـائـعـوـنـ وـالـمـشـتـرـوـنـ نـاسـاـ مـعـيـنـينـ، وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ أـحـدـ يـحـتـاجـ الـنـاسـ إـلـىـ عـيـنـهـ أـوـ إـلـىـ مـالـهـ؛ وـلـيـجـبـ عـلـىـ عـمـلـ أـوـ عـلـىـ بـيـعـ، بلـ الـمـسـلـمـوـنـ كـلـهـمـ مـنـ جـنـسـ وـاحـدـ، كـلـهـمـ يـجـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ، وـلـمـ يـكـنـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ الـبـالـغـيـنـ الـفـادـرـيـنـ عـلـىـ الـجـهـادـ إـلـاـ مـنـ يـخـرـجـ فـيـ الـغـزوـ، وـكـلـهـمـ يـغـزوـ بـنـفـسـهـ وـمـالـهـ، أـوـ بـمـاـ يـعـطـاهـ مـنـ الصـدـقـاتـ أـوـ الـفـيـءـ، أـوـ مـاـ يـجـهزـهـ بـهـ غـيـرـهـ، وـكـانـ إـكـرـاهـ الـبـائـعـيـنـ عـلـىـ أـنـ لـأـبـيـعـوـ سـلـعـهـمـ إـلـاـ بـثـمـنـ مـعـيـنـ إـكـرـاهـاـ بـغـيرـ حـقـ، وـإـذـاـ لـمـ يـكـنـ يـجـوزـ إـكـرـاهـهـمـ عـلـىـ أـصـلـ الـبـيـعـ فـإـكـراـهـهـمـ عـلـىـ تـقـدـيرـ الـثـمـنـ كـذـلـكـ لـأـجـوـزـ. وـأـمـاـ مـنـ تـعـيـنـ عـلـيـهـ أـنـ يـبـعـ فـكـالـذـيـ كـانـ النـبـيـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- قـدـرـ لـهـ الـثـمـنـ الـذـيـ يـبـعـ بـهـ وـيـسـرـ عـلـيـهـ، كـمـاـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ عـنـ النـبـيـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- أـنـهـ قـالـ: { مـنـ أـعـنـقـ شـرـكـاـ لـهـ فـيـ عـبـدـ وـكـانـ لـهـ مـنـ الـمـالـ مـاـ يـبـلـغـ ثـمـنـ الـعـبـدـ قـوـمـ عـلـيـهـ قـيـمـةـ عـدـلـ وـلـاـ وـكـسـ وـلـاـ شـطـطـ، فـأـعـطـيـ شـرـكـاـهـ حـصـصـهـمـ وـعـنـقـ عـلـيـهـ عـبـدـ } فـهـذـاـ لـمـ وـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـمـلـكـ شـرـيكـهـ عـنـقـهـ الـذـيـ لـمـ يـعـتـقـهـ لـيـكـمـلـ الـحـرـيـةـ فـيـ الـعـبـدـ قـدـرـ عـوـضـهـ: بـاـنـ يـقـوـمـ جـمـعـ الـعـبـدـ قـيـمـةـ عـدـلـ لـاـ وـكـسـ وـلـاـ شـطـطـ، وـيـعـطـيـ قـسـطـهـ مـنـ الـقـيـمـةـ. فـإـنـ حـقـ الشـرـيـكـ فـيـ نـصـفـ الـقـيـمـةـ لـاـ فـيـ قـيـمـةـ الـنـصـفـ عـنـ جـمـاهـيرـ الـعـلـمـاءـ، كـمـالـكـ وـأـبـيـ حـنـيفـةـ وـأـحـمـدـ وـلـهـذـاـ قـالـ هـؤـلـاءـ، كـلـ مـاـ لـأـيـمـكـ قـسـمـهـ فـاـنـهـ بـيـاعـ وـيـقـسـمـ ثـمـنـهـ إـذـاـ طـلـبـ أـحـدـ الـشـرـكـاءـ ذـلـكـ، وـلـيـجـرـ المـمـتـنـعـ عـلـىـ الـبـيـعـ، وـحـكـيـ بـعـضـ الـمـالـكـيـةـ ذـلـكـ إـجـمـاعـاـ: لـأـنـ حـقـ الشـرـيـكـ فـيـ نـصـفـ الـقـيـمـةـ كـمـاـ دـلـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ الـصـحـيـحـ، وـلـاـ يـمـكـنـ إـعـطاـهـ ذـلـكـ إـلـاـ بـيـعـ الـجـمـيعـ. فـإـذـاـ كـانـ الشـارـعـ يـوـجـبـ إـخـرـاجـ الشـيـءـ مـنـ مـلـكـ مـالـكـهـ بـعـوـضـ الـمـثـلـ لـحـاجـةـ الشـرـيـكـ إـلـىـ إـعـتـاقـ ذـلـكـ، وـلـيـسـ لـمـالـكـ الـمـطـالـبـةـ بـالـزـيـادـةـ عـلـىـ نـصـفـ الـقـيـمـةـ فـكـيـفـ بـمـنـ كـانـ حـاجـتـهـ أـعـظـمـ مـنـ الـحـاجـةـ إـلـىـ إـعـتـاقـ ذـلـكـ النـصـبـ؟ مـثـلـ حاجـةـ الـمـضـنـطـرـ إـلـىـ الـطـعـامـ وـالـلـبـاسـ وـغـيـرـ ذـلـكـ. وـهـذـاـ الـذـيـ أـمـرـ بـهـ النـبـيـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- مـنـ تـقـوـيمـ الـجـمـيعـ بـقـيـمـةـ الـمـثـلـ هوـ حـقـيـقـةـ التـسـعـيرـ. وـكـذـلـكـ يـجـوزـ لـلـشـرـيـكـ أـنـ يـنـتـرـعـ النـصـفـ الـمـشـفـوـعـ مـنـ يـدـ الـمـشـتـرـيـ بـمـثـلـ الـثـمـنـ الـذـيـ اـشـتـرـاهـ بـهـ، بـزـيـادـةـ، لـلـتـخـلـصـ مـنـ ضـرـرـ الـمـشـارـكـةـ وـالـمـقـاسـمـةـ، وـهـذـاـ ثـابـتـ بـالـسـنـةـ الـمـسـتـفـيـضـةـ وـإـجـمـاعـ الـعـلـمـاءـ، وـهـذـاـ إـلـزـامـ لـهـ بـأـنـ يـعـطـيـهـ ذـلـكـ الـثـمـنـ لـأـبـزـيـادـةـ، لـأـجـلـ تـحـصـيلـ مـصـلـحـةـ التـكـمـيلـ لـوـاحـدـ، فـكـيـفـ بـمـاـ هـوـ أـعـظـمـ مـنـ ذـلـكـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ أـنـ يـبـعـهـ لـلـشـرـيـكـ بـمـاـ شـاءـ؟ بـلـ لـيـسـ لـهـ أـنـ يـطـلـبـ مـنـ الـشـرـيـكـ زـيـادـةـ عـلـىـ الـثـمـنـ الـذـيـ حـصـلـ لـهـ بـهـ، وـهـذـاـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ مـنـ نوعـ التـولـيـةـ.